Journal Of the Iraqia University (76-3) June (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502

Journal Of the Iraqia University

available online at

https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

البعد العجائبي في رواية العصفورية لغازي القصيبي

م.م هجران جاسم محمد

جامعة واسط /كلية التربية الاساسية العزيزية/ قسم اللغة العربية

The fantastic dimension in ghazi al-qosaibi's novel al-usfuriyah hijran j. mohammed

Hajran.jassim@uowasit.edu.iq

الملخص :

العجائبية ظاهرة قديمة قدم الوجود البشري إذ لطالما فسر الانسان الظواهر بطرق فوق طبيعية و روى الخيال البشري القصص العجيبة للتسلية او لقول ما يتعذر قوله علنا لأسباب متعددة ، فيستخدم التعجيب لبث رسالته عبر شخصيات تخرج عن المألوف و تجعل القارئ بحالة من التردد و الشك و الخوف احيانا، و زمن التردد هذا هو الذي تقع فيه العجائبية, و يعد تودوروف اول من جعل من الادب العجائبي جنسا ادبيا مستقلا له قوانينه الخاصة, يهدف البحث الى دراسة البعد العجائبي في رواية العصفورية لغازي القصيبي، و يتناول تمثلاته و مظاهره في الرواية , اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي فضلا عن التأويل ؛للبحث في البعد العجائبي و انعكاساته على مكونات الرواية بشكل عام , اتضح هذا البعد في الشخصيات الخارجة عن المألوف و استدعاء الشخصيات المرجعية المختلفة , فضلا عن حضور الجن و الارواح و الكائنات الفضائية و وتعجيب الاماكن و الرحلة العجيبة في الرواية .

الكلمات المفتاحية: العجائبية ،غازي القصيبي ،الخيال ،الفانتاستيك ،السرد العجائبي، الشخصية العجائبية.

Abstract:

The miraculous is as old as humanity, humans have interpreted phenomena in a supernatural ways ,and imagination has narrated wondrous stories for entertainment or to say what is impossible to say publicly for different reasons. The miraculous is used to convey its message through characters that are out of the ordinary to put the reader in a state of hesitation, doubt, and even fear sometimes. the time of hesitation is where the marvelous occurs. Todorov is considered the first to make the fantastic an independent literary genre with its own laws. The study deals with the fantastic dimension in the novel Alusfuriya by ghazi Al-qosaibi. The study relies on the descriptive and analytical approach, in addition to interpretation, searching for the fantastic dimension and its reflections in the novel. it's evident in the extraordinary characters, and the summoning of various reference characters,and the presence of jinn, spirits, and extraterrestrial beings, and the marvelousness of places and trip in the novel **Keywords: Fantastic ,ghazi al –qosaibi , imagination , fantastic narration.**

المقدمة :

يعد السرد العجائبي من اساليب التجريب التي سادت الرواية الحديثة إذ يستخدمه الروائيون لكسر النمطية التقليدية و الخروج عن الواقع للتعبير عما هو اعمق , و قد استخدم منذ اقدم الازمنة اذ روى الانسان سواء في الشرق او الغرب الحكايات الغريبة و العجيبة على السنة الحيوانات, و فسروا الظواهر الطبيعية تفسيرات خارقة تتجاوز ما هو طبيعي و اما حديثا فقد عدَّ تودوروف الادب العجائبي جنسا ادبيا مستقلا بذاته , فيما عدّه البعض ثيمة او تقنية او اسلوبا في الادب غير مستقل بنفسه .و هناك دراسات عديدة تناولت العجائبية في اعمال ادبية مختلفة و متعددة و منها رسالة ماجستير بعنوان (ابن بطوطة و العجائبية في ادب الرحلة,عيساوي سيد احمد ,جامعة ابو بكر بلقايد ,كلية الاداب و اللغات ,قسم اللغة و الادب العربي ,الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ,١٤٣٨هـ_١٤٣٩هـ /٢٠١٨-٢٠١٧م) و كتاب (الادب العجائبي و العالم الغرائبي ,كمال ابو ديب ,دار الساقي مع دار اوركس للنشر , بيروت لبنان ,ط١, ٢٠٠٧) و غيرها من الدراسات , تناول البحث البعد العجائبي في رواية العصفورية لغازي القصيبي, التي انمازت بشخصياتها العجيبة و احداثها الغريبة و حضور الجن و الكائنات الفضائية و الارواح و الاماكن العجيبة

فيها, فضلا عن الرحلة العجيبة التي يقوم بها البروفسور و هو الشخصية الرئيسة في الرواية متنقلا من مكان الى اخر بطرق عجيبة و غريبة و معبرا عن نقد اجتماعي و سياسي و ديني و حتى اقتصادي للعالم العربي عبر تجربته العجيبة منذ بداية الرواية و حتى ختامها .اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي ,و تبنى عدداً من الاسئلة للتوصل الى البعد العجائبي و تمظهراته في الرواية , و هذه الاسئلة هي : كيف ظهرت العجائبية في الرواية؟ و ما هي ابرز اشكال العجائبية في الرواية؟ لماذا اختار القصيبي الاسلوب العجائبي في روايته ؟

العجائبية (The Fantastic):

العجائبية في اللغة : "عجب: العُجْبُ :إنكارُ ما يَرِدُ عليك لقِلةِ اعتْيادِه ؛ و جمع العَجَبِ :أعْجابٌ ...و قد عَجِبَ منه يَعْجَبُ عَجَباً , و تَعَجَّبَ ,و اسْتَعْجَبَ...و الاسْتِعْجابُ: شِدَّةُ التَّعَجب. قال الزجاج :أصلُ العَجَبِ في اللغة , أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويَقِلُّ مِثْلُه , قال قد عَجِبْتُ من كذا. و قال ابن الاعرابي : العَجَبُ النَّظَرُ إلى شيءٍ غير مألوف و لا مُعتادٍ"(ابن منظور، د.ت,مج١, ص٥٨٠-٥٨١)و قد وردت كلمة العجيب و العجب و العجاب في القرآن في آيات مثل قوله تعالى : "بل عَجِبْت و يَسْخَرون"(الصافات:١٢) " أكانَ للناسِ عَجَباً "(يونس:٢) "بل عَجِبوا أنْ جاءهم مُنْذِرٌ منهم "(ق:٢) "إنَّ هذا لشيءٌ عُجابٌ"(ص:٥) "و إن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولُهم "(الرعد:٥) "و اتخذ سبيله في البحر عجبا"(الكهف:٦٣) ، اما عند العرب فقد اشارت الدراسات الى ورود مأثورات اسطورية عنهم في الجاهلية فضلا عن حكايات الجن و العرب البائدة , و صياغتهم للقصص الاسطورية العجيبة في تفسير تسمية بعض الاماكن مثل تسمية جبلي (أجا و سلمى) , فضلا عن عباداتهم و مقدساتهم الخوارقية و الاساطير التي تحدثت عن اشخاص بأعينهم مثل زرقاء اليمامة و نسور لقمان بن عاد و غيرها(ينظر:زيد, ١٩٩٧, ص١٧٨) ، اما فيما يتعلق باستعمال المصطلح النقدي فقد كان على يد الجاحظ عند حديثه عن ترجمة الشعر إذ يقول: :"و الشعر لا يستطاع ان يترجم و لا يجوز عليه النقل , و متى حوّل تقطع نظمه , و بطل وزنه, و ذهب حسنه , و سقط موضع التعجب"(الجاحظ,١٩٦٥, ج١, ص٧٥) , و هو يشير بكلامه ان عجائبية الشعر تسقط عند ترجمته اذ ان الترجمة تفقده سماته و نظمه و وزنه اي انها تفقده الخصائص التي تجعله شعرا. و بذلك يقر بأن التعجيب و الخروج عن المألوف سواء في اللفظ او المعنى هو جزء مما يجعل الشعر شعرا.ان العجائبية بوصفها مصطلحا نقديا في العصر الحديث لم تعرف الا في الدراسات النقدية الغربية , و يعده تودوروف جنسا ادبيا مستقلا عن غيره يتميز بالخروج عن الواقع و يستخدم الخيال و يؤدي الى التردد و الحيرة اذ يعرفه بقوله :"ان العجائبي هو التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية , فيما يواجه حدثا فوق-طبيعي حسب الظاهر"(تودوروف, ١٩٩٣, ص١٨) , و من التعريف نتبين ان التردد هي السمة الاولى للأدب العجائبي كما ان المتلقي يكون بحالة مواجهة بين الواقع و الخيال الامر الذي يثير التردد و الحيرة لديه .و يرى تودوروف ان هناك ثلاثة شروط لابد من تحققها لجعل الادب عجائبيا , الشرط الاول لديه هو ان يتوهم القارئ ان الشخصيات هي شخصيات حقيقية حية تحمله على التردد في تفسير الادب بين تفسير طبيعي و اخر فوق طبيعي , و الشرط الثاني هو قد تكون الشخصية او احدى الشخصيات هي من تشعر بالتردد الامر الذي يجعل القارئ يتماشى معها و بذلك تكون قراءته للنص قراءة ساذجة, إذ لم يعتمد القارئ على نفسه في الوصول الى هذا التردد بل على ردود أفعال الشخصية سواء فيما يتعلق بالأحداث او الادراك او الايحاء الذي توصل اليه عبر القراءة , و الشرط الثالث هو وجوب اختيار القارئ لطريقة قراءة مناسبة تقصي التأويلين المجازي و الحرفي و تعرفه على العجائبي الذي لا يحدث إلا زمن التردد و الحيرة(ينظر: تودوروف, ١٩٩٣, ص١٨), و حالة التردد المشار اليها في تعريف تودوروف هي حالة من الحيرة التي لا تتحقق الا بسماع او رؤية أمور يصعب تصديقها او تقبلها لوجود اعتقادات او تصورات مسبقة عنها(ينظر: الشاهد, ٢٠١٨ , ص٥٤), ميَّز تودوروف بين مصطلحات ثلاث هي العجيب هو نوع من انواع الادب الذي تتداخل عبره كائنات او ظواهر فوق طبيعية بسير الحياة الطبيعية لشخصيات العمل الادبي مثل الجن و الاشباح و الكلام على السنة الحيوانات , و الامر الذي يميز العجيب هو طبيعة الاحداث و الوقائع غير الطبيعية و تفاعل او تقبل القارئ, اذ يقبل القارئ ان هناك قوانين فوق القوانين الطبيعية تُفسر عن طريقها الظواهر، اما الغريب فهو الادب الذي يجد فيه القارئ عالما يمكن له التأكد من رسوخ و تماسك القوانين التي تحكم هذا العالم على الرغم من وجود احداث و وقائع غير مألوفة لكنه مع ذلك يمكن ان يفسرها تفسيرا عقلانيا ,و اما العجائبي فيعني اقتحام لشيء او موضوع غير مألوف او غير واقعي لحقل الواقعي ,مما يؤدي الى تردد القارئ في تفسير ذلك بين تفسير طبيعي و آخر غير طبيعي مع رفض التفسير الرمزي او المجازي للنص(ينظر: هاشم, ٢٠١٣, ص١٤٠-١٤١), و هذا ما وجدناه في رواية العصفورية التي تفاعل فيها غير الواقعي مع الواقعي بطريقة متداخلة يصعب معها الفصل بينهما مما يؤدي الى حدوث التردد الذي يميز الادب العجائبي عن غيره , و الذي يُرى ان رفض التفسير المجازي او الرمزي للنص يفقد الكتابة العجائبية غايتها , اذ ما الغاية من الحديث بصوت الحيوان او حضور الشخصيات العجيبة من مثل الجن و الاشباح او استدعاء الشخصيات من الماضي؟ اذا لم يكن للتعبير عما هو اعمق و اهم , مما يصعب التعبير عنه بصورة واقعية لوجود الرقابة

سواء كانت رقابة سياسية او اجتماعية او حتى دينية , فالأدب في العادة و لاسيما الادب غير الواقعي يكون وسيلة الكاتب لتوجيه نقده و لبث افكاره المختلفة عبر نصوصه الادبية .و لعل ادباء امريكا اللاتينية هم اكثر من اسهم في هذا التيار في القرن العشرين , الامر الذي جعلهم روادا لهذه الواقعية العجائبية التي تكتسب جاذبيتها و سحرها من كونها ناتجة عن الخيال , فضلا عن الملاحظة الواعية , ذلك ان في الخيال قوة سحرية غير قابلة للتفسير ناتجة عن خيالات الجنون و العمى و الشيخوخة , و من هنا فالأدب الغرائبي او العجائبي لا يتضاد مع الوقع بل يضفي عليه قيمة رمزية و دلالية ,فهو يعيد اختراع الواقع بتأثيرات غير واقعية(ينظر: شعلان, د.ت , ص٣٢) , و من الجدير بالذكر ان العجائبية تتحقق و تستمر لحظة وقوع الحيرة و التردد المشترك بين القارئ و الشخصية نتيجة وجود احداث و ظواهر عجيبة تثير التردد في التفسير ، فاذا تم قبول تفسير طبيعي او فوق طبيعي للحدث او الظاهرة فيخرج النص من جنس العجائبي و يدخل جنس الغرائبي او العجيب ، و العجائبي في النص الادبي يرتبط بالخيال, و من ثمّ وجود علاقات ملموسة و مترابطة داخل النص و ليست علاقات اعتباطية غير مبررة, و من هنا فالإيمان او الشك المطلق لدى القارئ او الشخصية كلاهما يخرجاننا من العجائبية(ينظر:الاعرج ,١٩٩٠, ص٥٤, ينظر: شعلان ,د.ت, ص٢٣)،و مما تقدم نتبين ان معنى العجائبية هو حالة التردد التي تصيب القارئ عند اصطدامه بأحداث لا تتوافق مع معرفته المسبقة فيصاب بالحيرة و لحظة الحيرة هذه هي العجائبية فان اختار ان يفسرها بأي طريقة كانت خرج عن العجائبية الى ما سواها .

البعد العجائبي في رواية العصفورية لغازي عبد الرحمن القصيبي:

القصيبي هو كاتب سعودي تنقل في مراحل دراسته في اربعة بلدان هي البحرين ,مصر, امريكا, بريطانيا, مما اعطاه فرصة الاختلاط بشعوب مختلفة و التعرف على طرق معيشتها و عاداتها و تقاليدها و قيمها , تقلد مناصب عديدة في بلده مما اكسبه خبرات سياسية و ادارية و دبلوماسية متنوعة , نال درجتي الماجستير و الدكتوراه في مجال العلاقات الدولية و ألف فيها , كما اهتم بالأدب شعرا و نثرا و الف فيه(ينظر: القصيبي ،٢٠١٠ , ص٩-١٠) ، للوهلة الاولى تبدو الرواية اشبه بسيرة ذاتية للكاتب لو لا انه اضاف اليها مكون التعجيب و العجائبية و الاحداث الخارقة للطبيعة , و لعل ذلك عائد الى رغبته بكتابة السيرة الذاتية ، و تعذر ذلك لعدم قدرته على قول كل ما يريد قوله, لأسباب متعددة منها المناصب التي تقلدها, فضلا عن الاسباب السياسية و الاجتماعية و الدينية و غيرها , و لذلك مال الى كتابة رواية تجمع الواقع بالخيال و تعطيه الحرية لقول ما يريد قوله مع بعض التورية التي تسمح له باستخدام النقد و السخرية السوداء و غيرها من الاساليب لنقد ما يريد نقده(ينظر: القصيبي ,٢٠١٠ , ص٢٩)، و لعل كل ذلك دعاه الى اعتماد الاسلوب العجائبي في روايته و يتمثل البعد العجائبي في الرواية بما يأتي:

اولاً: استدعاء شخصيات من الماضي و التفاعل معها:

ان ما يميز رواية العصفورية هو اعتمادها الحوار الواحد الذي يقع في العصفورية , فهي جلسة علاج نفسي تبدأ من بداية الرواية و الى نهايتها يتطرق فيها البروفسور بشار الغول و هو الشخصية الرئيسة في الرواية الى تجاربه الحياتية و خبراته المجتمعية و آراؤه السياسية و الاقتصادية و حتى الدينية مغلفا ذلك بسخرية لاذعة و نقد موجه لإصلاح المجتمع و"الامة العربستانية" , و هو في ذلك كله يستدعي شخصيات تاريخية و سياسية و ادبية و اقتصادية سواء من العرب او غيرهم .و هو في حديثه عنهم لا يتعامل معهم على انهم شخصيات من الماضي بل يصرُّ بأنه يعرفهم و انهم اصدقائه و معارفه فهو يجتر من الذاكرة المواقف التي جمعته بهم و هو يفتتح الرواية بالسؤال عن الرئيس كميل شمعون و سبب موته و يصر انه صديقه , و يتحدث عن سامي الصلح , ثم يعرج للحديث عن اينشتاين و يصير انه اكتشف النظرية النسبية بالتعاون معه ، و يذكر الشخصيات البارزة بعلم النفس مثل فرويد و يونغ , و شخصيات سياسية عربية و غربية مثل انور السادات , نكسون , فورد , كارتر , و يجري المقارنات بين العرب و الغرب , و يتحدث عن الخديوي اسماعيل و رفاعة رافع الطهطاوي و يدّعي انهم اصدقاؤه و أنهم جميعا مصابون "بعقدة الخواجة" يقول: "حسنا! اسمه رفاعة رافع الطهطاوي... و كان امام اول بعثة دراسية مصرية ارسلت الى باريس .و مع ذلك اصابته عقدة الخواجة." و هو يرى ان هذه العقدة اخطر من عقدة اوديب لان عقدة اوديب لا تصيب الا الاغنياء المدللين اما عقدة الخواجة فهي تصيب الجميع, و يستمر فيصفها بأنها اخطر مرض يصيب الامة لكنه ينعش الفرد و هي عقدة تفضيل الناس لكل ما هو غربي على ما هو عربي , و يستدعي شكسبير و يقول عنه: "شكسبير. و هذا الاخ بدوره , لديه عقدة خواجة .و إلا فلماذا يغير اسمه العربي الجميل, الشيخ زبير , الى هذا الاسم الانجلوسكسوني الصاقع؟"(القصيبي, ١٩٩٩, ص١٩), و في ذلك نجد رغبة الشخصية الواضحة في مناقضة عقدة الخواجة بعقدة العروبة , فنجده يجعل من الشاعر الانجليزي شيخا عربيا يسميه الشيخ زبير و يستنكر عليه تغيير اسمه العربي باسم انجليزي و هو انزياح سردي استخدمه الكاتب لجذب انتباه القارئ و بعث الدهشة و الحيرة في نفسه ما يجعل القارئ يتابع بشغف احداث الرواية , و ذلك فالشخصية العجائبية ليس بالضرورة ان تكون شخصية غريبة او كائنا مخيفا فقد تكون شخصية عادية لكنها تقوم بما يسبب التردد و الحيرة لدى القارئ . و لما كان للشخصية هذا

الحس العالي بتفخيم الذات العربية نجده يستدعي شخصية المتنبي و يتفاعل معها, و يعد المتنبي من اكثر الشخصيات التي يستدعيها الادباء شعراء كانوا ام كتاب رواية للتعبير عن قضايا سياسية فضلا عن الدلالات الاخرى التي تحملها شخصية المتنبي و التي قد تستخدم للتعبير عما يواجهه صاحب الكلمة من الضغوطات السياسية و الاجتماعية على حد سواء و للأديب ثلاثة طرق للتعامل مع الشخصية التي يستدعيها فأما ان يتكلم عنها بضمير الغائب , و اما ان يحادثها و يتحاور معها بضمير المخاطب , و اما ان يتّحد بها فيتحدث على لسانها بضمير المتكلم(ينظر: زيد, ١٩٩٧, ص١٣٨-١٣٩-٢٠٩) , و هذا ما فعله الكاتب في الرواية عند استدعاء المتنبي فهو يحاوره مرة و يتحدث معه فيختلفان او يتفقان على امر ما , و احيانا يتحدث عنه بصيغة الغائب , و مرة اخرى يتحدث على لسانه و كأنه هو , متبنيا اراء قد تكون مشتركة بينهما , و قد رافق المتنبي شخصية البروفسور طيلة الرواية فتكاد لا تخلو صفحة من صفحاتها من قول او بيت شعري او حديث عن المتنبي او معه و لعل السبب يرجع الى ان المتنبي يوافق شخصية البروفسور بشار الغول في ان له انا متعالية فضلا عن تفخيمه لذاته. و لعل المتنبي هنا تمثيل لمرحلة ذهبية في تاريخ العرب, فيستخدم الكاتب السخرية و المفارقة و الاستهزاء على لسان الشاعر و عند التعامل معه و تسميته بأبي حسيد ، فيرسم صورة يتقابل فيها الماضي الذهبي مع الحاضر البائس فينقد عبرها الواقع العربي المتمسك بالصورة المتعالية القديمة ليدل بذلك على تغير الاحوال بين الماضي و الحاضر و كأنه يجعل المتنبي تعبيرا عن الامة العربية بكاملها و انتقالها من القوة و الفخر بالنفس الى الضعف و الاعجاب بالغير عبر مراحلها التاريخية .فالادب العجائبي يعرض لنا شخصيات بشرية مثلنا يسكنون عالمنا لكنهم يوضعون في مواقف تستغلق و تستعصي عن التفسير.(ينظر: تودوروف ,١٩٩٣, ص٤٩) ,كما رأينا في الرواية من لقاء البروفسور للشخصيات الواقعية الحقيقية التي يستدعيها من الماضي ليتفاعل معها و يحاورها ، و ما يجعل الشخصية عجائبية هي دمج الكاتب لما هو واقعي ممثلا بشخصية المتنبي , بما هو غير واقعي و هو لقاء المتنبي بشخصية البروفسور في باريس ، و في ذلك مفارقة زمنية و هي ان المتنبي شاعر عربي ينتمي للعصر العباسي بينما البروفسور شخصية روائية تنتمي للعصر الحديث , فضلا عن المفارقة المكانية ممثلة بمكان اللقاء و هو مدينة باريس في فرنسا و هي بيئة لا ينتمي لها المتنبي مما يبعث الحيرة و التردد لدى القارئ و هذا التردد هو العجائبية , ان حيوية الخيال لدى الكاتب تجعله يستدعي الشخصيات الحقيقية و لا يكتفي بأدوارها الحقيقية بل يجعلها تعيش و تتفاعل في احداث متخيلة للتعبير عما يريد من افكار فيحملها معان و دلالات لا تتحقق عن طريق السرد الواقعي المباشر.

ثانيا: اضفاء العجائبية على الاماكن الحقيقية

للمكان اهمية كبيرة و دور فعّال بوصفة احد اهم عناصر الرواية ذلك أنه مكمل و مساند للحدث، و مسرحا للفعل ، و ارضية حيوية تتحرك فيها الشخصيات و تتفاعل مع بعضها , و المكان في الرواية ليس المكان الطبيعي الجغرافي انما هو بناء لغوي متخيل يختلقه الروائي عن طريق الكلمات و بذلك يكون الخيال هو الاساس في خلقه(ينظر: البيل ,٢٠١٦ , ص٢١٧-٢١٨) , و لا يتشكل المكان الروائي و تتضح معالمه إلا باختراق الشخصيات له و نمو و تصاعد الاحداث فيه ، فلا وجود للمكان الروائي مسبقا لكنه يتشكل من تفاعل الشخصيات مع بعضها بعضا و مع الاحداث و يأخذ من خصائص الشخصيات و سماتها(ينظر: بحراوي , ١٩٩٠, ص٢٩)، و المكان الاول الذي تنطلق منه الرواية هو العصفورية او مستشفى الامراض النفسية و العقلية ، و هو مسرح الاحداث جميعها و مركزها ، و هو فضاء مغلق يقيم به المرضى اقامة جبرية و ليس لهم خيار الخروج منه ، لكن ذلك لا ينطبق على البروفسور الذي يرى نفسه ضيفا لا مريضا و يذكر انه يقيم في العصفورية بإرادته و انه يستطيع مغادرتها متى شاء, و كما ذكرنا سابقا بأن الشخصية قد لا تكون عجائبية بذاتها لكن الكاتب يضفي عليها ما يجعلها عجائبية فكذلك المكان قد لا يكون عجائبيا لكن الكاتب يسمه بما يجعله يحمل صفة العجائبية، مما يساهم في صنع عالم سردي يضج بالغرابة متجاوزا حدود الواقع مما يحفز القارئ على تجاوز المعنى الظاهر للنص و الغوص في معان اعمق. و في الرواية يسأل البروفسور عن الرئيس كميل شمعون و يذكر انهما كانا يصطادان النمور و التماسيح و البط فيتعجب الطبيب سمير ثابت و يسأل : "النمور؟! وقعت يا بروفسور! كميل نمر شمعون .من هنا جاءت النمور. تداعي افكار.

-لا تداعي افكار و لا يحزنون .كنا نصطاد النمور .

-وين؟

-في البقاع.

-في البقاع؟! نمور في البقاع؟!

-كان هذا في الزمانات , يا حكيم .رُبما قبل أن تولد أنت . كانت البقاع مليئة بالنمور .ثم افنيناها , أنا و كميل شمعون .

–و التماسيح ؟! في البقاع؟!

–هل جُننتَ, يا دكتور ؟تماسيح في البقاع !كنا نصطاد التماسيح في دجلة .

–تماسيح في دجلة؟!

–أووه ! كانت دجلة تعجّ بالتماسيح .ثم افنيناها ,أنا و كميل شمعون. كنا نطبخ الصغار مسقوف , أما الكبار فكان كميل شمعون يأخذ جلدها و يستخدمه في صنع أحذيته"(القصيبي, ١٩٩٩, ص١٢) فتعجب شخصية الطبيب سمير ثابت و تردده في قبول حقيقة صداقة البروفسور بالرئيس اللبناني كميل شمعون و حقيقة ذهابهما لصيد النمور و التماسيح و البط معا ،و يتضح التردد من عبارة تداعي افكار التي يستخدمها الطبيب للتعبير عن تردده في تصديق كلام البروفسور, كل ذلك يثير التفكير و الحيرة لدى القارئ فهذه المقابلة بين الواقعي ممثلا بالرئيس و غير الواقعي ممثلا بشخصية البروفسور و تفاعلهما على اماكن حقيقية هي منطقة البقاع في لبنان و اضفاء سمة غير واقعية عليها وهي وجود النمور , و من المعروف ان البيئة الطبيعية للنمور تتواجد حصرا في مناطق معينة من قارة اسيا كما تعيش في الهند و روسيا و جنوب شرق اسيا , و لا تتواجد في منطقة البقاع في لبنان , كذلك يتعجب الطبيب و معه القارئ من صيد التماسيح في دجلة و المعروف ان التماسيح لا تعيش في نهر دجلة , فيقع القارئ بين تفسيرين الاول واقعي و هو رفض تصديق واقعة الصيد و اعتبارها هلوسات و هذيان لشخص مجنون في مصحة للأمراض النفسية و العقلية ، و بين تفسير غير واقعي يتقبل حقيقة تواجد الشخصية مع الرئيس اللبناني و صيدهما للنمور و التماسيح في منطقة البقاع و نهر دجلة ، و لعل الكاتب اراد استثارة تفكير القارئ و دفعه لتأويل معنى يتجاوز حدود اللفظ ،إذ يمكن ان تشير التماسيح و النمور الى الخصومات السياسية و المنافسون او المعارضون الذين قضى عليهم الرئيس شمعون في عهده ، و الملاحظ في الرواية ان الاماكن لا تظهر لذاتها بل تظهر عن طريق ما يحدث عليها و الشخصيات التي تتفاعل عليها فمثلا لم يصف الكاتب منطقة البقاع و لا نهر دجلة بل اكتفى بذكر الصيد فيهما .

ثالثا: حضور الجن و الارواح و المخلوقات الفضائية و التفاعل معها:

الجن : الجن و الارواح و حتى الشياطين مخلوقات معروفة في التراث العربي منذ اقدم العصور و قد وردت في قصصهم و اساطيرهم في جاهليتهم و حتى بعد اسلامهم ,و الجن بمختلف انواعهم و اشكالهم و اجناسهم يشكلون عالما متكاملا من الشخصيات التي نجدها حاضرة في كل سيرة من السير ،فهم يتفاعلون مع البشر فأما ان يمدوا لهم يد المساعدة ، و اما ان يحاولوا الحاق الضرر بهم(ينظر: يقطين , ١٩٩٧, ص١٠٠) , و في الرواية نجد البروفسور يلتقي بالجن و يتفاعل معهم ، و يذكر ان طبيب الجن "صخونة" شرح له كيفية تواصلهم معه ،إذ يخبره : "هناك خلية في مخّ كل انسي رقمها ٦٦٦٦٦٦١. إذا تخدرت بأي سبب من الاسباب أمكن الاتصال بين الانس و الجن. و قد ادت الصدمات الكهربائية التي تعرضت لها الى حدوث خدر في هذه الخلية .و لدينا مراصد تراقب هذه الحالات. بمجرد ان رصدت حالتك ابلغت الخاقان الذي امر المباحث بإحضارك"(القصيبي , ١٩٩٩, ص٩٤) ,و من النص يتبين ان البروفسور بدأ برؤية الجن بعد دخوله مصحة مونتري و استخدام الطبيب نورمان جونسون للصدمات الكهربائية في علاجه فيتحدث طويلا عن علاجه بالصدمات و يعده الاعتداء الأعظم على مخه ، بل و يصل به الامر ان يسمي هذا العلاج بالاغتصاب يقول :"لم يكن هناك سوى الاغتصاب الاعظم. اغتصاب المخ عن طريق الكهرباء . صعد العدوان على خصوصياتي الى ما لا نهاية . سُمح لشيء غريب بأن يتغلغل في خلايا المخ و يعبث بها كيفما شاء"(القصيبي , ١٩٩٩, ص٨٩) ,و من كلامه نتبين الاثر العميق الذي تركه هذا النوع من العلاج عليه اذ يعده انتهاك يعادل الانتهاك الجنسي و تغلغلا من دون وجه حق الى "عورة العورات" اذ يصف الاطباء بأنهم لا يكتفون بتعرية الجسد بل يتجاوزون ذلك الى تعرية الروح و كشف المحظورات جميعها ، و يوجه حديثه الى الطبيب سمير ثابت و يسأله هل يجوز ذلك ؟! و من ثم يعود فيروي ما شعر فيه بعد علاجه بالصدمات و بأنه كانت مكتئبا و حاول الانتحار , و فينمام ذات ليلة و يفيق ليجد نفسه في عالم الجن :

"–قصدك انك حلمت انك في عالم الجن ؟

–لم احلم , يا عمي .كنت هناك فعلا...صدقني وجدت نفسي في عالم الجن امام شهاب بن شهاب بن شهاب خاقان الجن الخضيرية"(القصيبي , ١٩٩٩, ص٩٢), و من النص يتضح وجود تفسيرين التفسير العقلاني و يمثله الطبيب يفسر لقاء البروفسور بالجن بطريقة عقلانية و يخبره بأنه كان يحلم , اذ لا يمكن للبشر رؤيتهم و التفاعل معهم و من هنا يشير ضمنيا الى حالة البروفسور و كونه مريض في مصحة ، و تفسير اخر فوق طبيعي او غير عقلاني و يمثله البروفسور الذي ينفي انه حلم بلقاء الجن و يؤكد انه التقاهم حقا بالطريقة التي شرحها له طبيب الجن و بسبب التفاصيل الكثيرة التي يذكرها البروفسور و الثقافة العالية التي يتمتع بها يتردد القارئ في اختيار التفسير الذي يطمئن له و هذا ما يسمح باستمرار حالة العجائبية التي نجدها في الرواية . و يصف ان الجن كانوا يرقصون حوله رقصة اشبه بالدبكة و اناثهم ترقص رقصة اشبه" بالتوست"

و عندما يسأله الطبيب سمير ثابت عن اشكالهم يخبره بأن اشكالهم لا تختلف كثيرا عن اشكال البشر و ان الفرق الوحيد هو ان "جميع الرجال في عالم الجن صلع مرد لا ينبت شعر في رؤوسهم او وجوههم .اما نساء الجن فشعورهن طويلة جدا , و يغطي اجسامهن زغب خفيف. ثانيا, احجام الجن, رجالا و نساء , تقل عن احجام البشر طولا و عرضا ,بما لا يقل عن الثلث. ثالثا, انوف الجن و اذانهم مقفلة تماما , لا ثقوب فيها , و هذا ينطبق على النساء و الرجال .و لكنهم يسمعون جيدا و يشمون جيدا بواسطة الذبذبات"(القصيبي , ١٩٩٩, ص٩٢) ،فهذه التفاصيل الدقيقة التي يذكرها البروفسور لأشكال الجن و احجامهم ذكورا و اناثا كلها تعمق حالة التردد و تصعب الحسم في اختيار التفسير المناسب فتستمر العجائبية , و هذه هي الحال في الرواية كاملة فما ان يحاول القارئ الاستقرار على معنى من المعاني يعود الكاتب لهدمه عبر احداث تخل به، و يجد البروفسور نفسه في عالم الجن بجانب قائد الجن شهاب بن شهاب بن شهاب و الذي يخبره بأنه حاول مصاهرة الجن القبيلية لتحقيق السلم الاجتماعي بينهم لكنهم رفضوا و بانه غضب منهم غضبا شديدا لرفضهم و لذلك اقسم على تزويج ابنته لأول انسي يراه , فيسأله ان كان موافقا على الزواج بابنته دفاية ، و بأن الزواج لن يتم دون موافقته لأن الجن الخضيرية يؤمنون بالديمقراطية ، فيوافق البروفسور على الزواج بعد اخباره الخاقان بأنه لا يملك لها مهرا سوى ساعة سويسرية ماركة موفادو ، فيقبلها منه و يعينه شيخا لبني خضير ، و يقيم له مأدبة كبيرة فيها ما لذ و طاب يقول : "هذه وليمة عرسك . ماذا تشتهي من الاطعمة؟ قلت :تعجبني العكيسة .فان لم تتيسر فالولوقة . فان تعذرت فالبج ماك "قال الخاقان :"هاتوا الجيف كوك" جاء الجيف كوك و قال له الخاقان :"اخرج العكيسة من الديب فريز .و ضعها في المايكروويف و احضرها لصهري شيخ شمل بنني خضير"(القصيبي , ١٩٩٩, ص٩٤), و يمتاز الحوار بين البروفسور و الجن بالعشوائية و التعجيب الواضح عبر اختيار لغة تتناسب و حالة الجنون التي يعاني منها البروفسور كما رأينا في النص السابق الذي استخدم فيه خاقان الجن اسماء الاكلات باللغة الانجليزية بل و حتى الاكلات التي ذكرها نفسها ليست هي الاكلات المتوقعة في عالم الجن ، كذلك ما نجده عند حديثه معهم من ذكر ابيات شعرية من التراث العربي لا يتناسب صدرها مع عجزها مثل قوله "كأن مثار النقع فوق رؤوسنا : أمن أوفى دمنة لم تكلّم" و غيرها من الابيات, و يتخوف البروفسور من مسألة الزواج بجنية لكنه يطمئن بعد حديثه مع الطبيب "صخونة" الذي يعطيه تعليمات خاصة لإتمام الزواج و بعد ان يتم الزواج يستيقظ صباحا فيجلس مع والد زوجته الجنية "دفاية" الذي يخبره بأنه يجب ان يعود الى عالم البشر لان دفاية تحتاج للتركيز و التفرغ لمذاكرتها فهي طالبة في الاعدادية , و بذلك يفيق البروفسور ليجد نفسه في فراشه في المصحة , و يذكر انه لم يجد ساعته التي اعطاها مهرا لدفاية .و بذلك تنتهي تجربته الاولى في التفاعل مع الجن .

دخول عالم الارواح :بعد عالم الجن يتحدث البروفسور عن حدث لا يقل غرابة و هو دخوله لعالم الارواح، و أنه نام في فراشه و عندما افاق وجد نفسه في عالم الارواح فيتعجب الطبيب من ذلك ، و يذكر بأن طريقة دخوله لعالم الارواح هو تخدر خلية (٦٦٦٦٦٦٢) و ان مراصد عالم الارواح تنبهت الى حدوث ذلك في مخه الامر الذي جعله قادرا على التواصل مع عالم الارواح ،و عند دخوله لهذا العالم يجد نفسه امام بوابة كبيرة و يجد رجلا ينتظره هناك و يرحب به فيتساءل البروفسور عمن يكون هذا الرجل فيجيبه بقوله "أنا الذي نظر..." و قبل ان يكمل البيت يعرف البروفسور بأنه المتنبي فيخبره بأنه لا حاجة به الى سماع بيت اخر فهو يحفظ قصائد المتنبي عن ظهر قلب ، فيتحدث البروفسور مع المتنبي عن اشياء متفرقة ، و من بعدها يعطيه المتنبي جهازا ليصير وسيلة للتواصل بينهم , يقول: "خذ معك هذا التيلفزيون و عن طريقه نستطيع التواصل. متى شئت انت او شئت انا"(القصيبي , ١٩٩٩, ص٩٥) , يصحو البروفسور بعد هذه التجربة في فراشه في المصحة و جهاز التيلفزيون بجانبه , و بحسب جان ريكور فالعجائبية هي ما اختلط فيها الواقعي بغرائب الاحداث و بالأسرار و الخفايا ، و الرؤى المشوشة التي لا يضبطها ضابط العقل و المنطق فتشابه الاحلام ، و بذلك تقوم العجائبية بتحرير النص الادبي من سلطان العقل و المنطق و تطلق الخيال حرا الى الامور غير المعتادة و اللا مألوفة"(ينظر: اليمين و السعيد ,٢٠٢٤, ص٣٢٢) , فالواقعي هنا هو نوم البروفسور في فراشه في المصحة اما غير الواقعي فهو استيقاظه في عالم الارواح ، و هذا التداخل بين الواقعي و غير الواقعي يجعل الطبيب سمير ثابت يتعجب من ذلك لا يقبل تصديق كلامه فيطلب منه التوقف عن هذا الحديث ، لكنه يصر على ان تجربته حقيقية و انها قد حدثت فعلا ، و بأنه صار اكثر املا بعد هاتين التجربتين ، و استعاد رغبته في الحياة و بدأ التخطيط للخروج من المصحة عن طريق اعطاء طبيبه الاجابات التي يود سماعها مستعينا بذكائه و معرفته بعلم النفس و خبرته التي اكتسبها من العيش في المصحات النفسية . و مرة اخرى يقوم الطبيب سمير ثابت بإعطاء تفسير منطقي لما حدث مع البروفسور فيقول : "–إذن ,ألا ترى أن الخوف هو الذي دفعك الى تصور اشياء وقعت في عالم الجن و في عالم الروح ؟ الخوف يحدث اشياء غريبة ...عندما يصبح الواقع مخيفا يبحث الانسان عن السلام في واقع يختلف تماما عن الواقع الذي يعيشه . هل لاحظت ما حدث لك في عالم الجن؟ حُلت مشكلتك الجنسية و مشكلتك القبلية"(القصيبي , ١٩٩٩, ص١٠٩), و يعترض البروفسور على تفسير الطبيب فلا يرى ان لديه اي

مشكلة ، و يخبره ان كان هذا تفسيره لدخول عالم الجن فبماذا يفسر الدخول الى عالم الارواح ؟!و هنا يجيب الطبيب ان الظروف التي مر بها البروفسور و خسارته لسوزي قد اصابته بوحشة قاتلة فقد كان وحيدا محاطا بالأعداء من كل جانب فقام عقله بتصوير ما هو مألوف لديه و هو للمتنبي و لذلك التقاه في عالم الارواح فهو يعرف كل شيء عنه و يحفظ اشعاره ، يعترض البروفسور و يصر على حقيقية تجربته ، و بأنه سيجعل الطبيب يرى المتنبي بأم عينه ، و هنا يعترض الطبيب شبه ساخر ، و لإثبات كلامه يقوم البروفسور و يضغط زر التشغيل لجهاز تلفاز متوسط الحجم و بعد ثوان تظهر صورة رجل غاضب يصرخ بوجه البروفسور و يخبره ان لا يتصل به الا عندما يكون بمفرده فيقول البروفسور بأن هذا طبيبه الدكتور ثابت فيرد الوجه الغاضب بأنه يكره الاطباء منذ قال له احدهم "أكلت شيئا .. و دواؤك في شرابك و الطعام "، ثم يختفي الوجه و تظلم الشاشة ، فينظر البروفسور الى الطبيب و يسأله ان كان قد اقتنع بعد رؤية المتنبي فيسخر منه الطبيب و يضحك طويلا ثم يقول انه الممثل محمود المليجي ، اما البروفسور فيصر انه المتنبي و بأن هذا الشبه بينه و بين الممثل محمود المليجي كثيرا ما يزعج المتنبي في عالم الارواح اذ يطالبه المعجبون بالتوقيع لهم و يغضبون عندما يكتشفون انه ليس المليجي ، و يستمر الطبيب بعدم التصديق و اعطاء تفسيرات منطقية مثل ان يكون ما رآه مجرد فيديو مسجل مسبقا ، او انه يعمل ببطارية ، فينفي البروفسور ذلك بقوله ان تلفاز عادي و غير موصل بالكهرباء و لا توجد به بطارية فيعترض الطبيب على ذلك اذ ان الاجهزة الان تستطيع فعل كل شيء، يرفض البروفسور هذا التفسير و يقول بانه التلفاز الذي اخذه من عالم الارواح و ان الذي ظهر فيه هو المتنبي يستسلم البروفسور اخيرا من محاولة اقناع الطبيب قائلا: "–ماذا أقول ؟ رأيت بعينك و لا تزال غير مقتنع . "و ليس يصح في الاذهان شيء...اذا احتاج النهار الى دليل". لا تريد ان تصدق ؟! أنت حر! هذه مشكلتك انت"(القصيبي, ١٩٩٩ , ص١١٠)

المخلوقات الفضائية : لقد حلم الانسان بغزو الفضاء منذ القدم ، فقد كان يحلم ان يحمل على جناح الريح و ان يصل الى الكواكب و النجوم المختلفة, و استطاع تحقيق جزء من احلامه باختراع الطائرات التي تنقله حيث شاء و باختراع الصواريخ و المركبات الفضائية التي اوصلته الى القمر و قد عرف الغرب الخيال العلمي و الفوا فيه مبكرا ، اما عربيا فقد ظهر هذا النوع من الادب في الخمسينيات و كان الكتاب المصريون هم السباقون اليه لمواكبة العصر (ينظر: عزّام ,١٩٩٤ , ص٦٠–٦١–٦٨)و في الرواية نجد التأثر بهذا النوع من الادب واضحا ,إذ يتواصل البروفسور مع الكائنات الفضائية و الذي حدث بعد اخر ليلة قضاها في المصحة ،و لا تختلف قصة تواصله معهم عن سابقاتها، على الرغم من انه يعدها الاغرب ، إذ يفيق فيجد نفسه في مركبة فضائية يصفها بأنها صغيرة و مليئة بالمعدات الغريبة لكنه لم يرها من الخارج بل من الداخل فقط, كان فيها ستة مخلوفات فضائية شرحت له كيفية تواصلها معه و ان ذلك تم عن طريق تخدر الخلية رقم (٦٦٦٦٦٦٣) في المخ ، لكنه لم يتواصل معهم عن طريق الكلام بل تم التواصل بالتخاطر و يصف اشكال هذه الكائنات و اجناسها فيقول :"كان هناك ٥ ذكور على هيئة جرادات, و أنثى على هيئة فراشة . هذه ليست الاشكال الحقيقية . لا توجد اشكال حقيقية لأن الكائنات عبارة عن ذبذبات . الكائنات من كثافة تختلف عن كثافة البشر. ما رأيته عبارة عن صورة ذهنية"(القصيبي , ١٩٩٩,ص١١١) ، و يستمر البروفسور بسرد معلوماته عنهم فيذكر انهم كائنات جاءت من كوكب بعيد جدا في الفضاء الخارجي ، دون تحديد لاسم الكوكب ، و انهم يراقبون كوكب الارض فتصلهم المعلومات عن طريق محطات ارسال بشرية تبث لهم المعلومات، و انهم قرروا جعل البروفسور واحد من هذه المحطات ،و يقومون بزرع مخ جلبوه معهم من الفضاء الخارجي للبروفسور عندما انفجر مخه الى "ستين حتة" بحسب تعبيره و احتاج بديلا عنه ، و بعد فترة من مجاراة الطبيب المسؤول عن حالته للخروج من العصفورية و في يوم خروجه يحدث امر عجيب و هو عودته الى المركبة الفضائية، فتفتح المخلوقات الفضائية مخه و تغير جهاز الارسال و تعطيه شيكا بمبلغ الف مليون دولار مقابل استئجار مخه لخمس سنوات فيتحقق البروفسور من المال ان كان حلالا ام هو مال مسروق ليطمئن قبل اخذه . و مع القدرات الهائلة لهذه الكائنات و تفوقها العلمي إلا انها لا تقضي على البشر , لكن العلاقة العدائية بينهم و بين البشر تتغير في الكتابات الحديثة فتصير علاقة زواج و حب متبادل(ينظر:عزّام ,١٩٩٤, ص٦٤), و هذا ما نجده في علاقة البروفسور مع فراشة الكائن الفضائي الانثى التي تواصلت معه ، تخبره فراشة انها تريد الزواج منه ، فيتزوجان بموجب قوانين الفضاء و نتيجة للعلاقة بينهما سيمكنه سماع بعض مما يبثه جهاز الارسال الى الفضاء و كذلك التواصل مع زوجته الفضائية .

رابعاً : الاحلام

و من اهم ما يمثل العجائبية هي الاحلام فهي تقلب قوانين الواقع و تثير الحيرة و الدهشة و يمكن ان نعدها التمثيل الحقيقي للعجائبية فبحسب قول تودوروف "انما العجائبي كله قطيعة او تصدع للنظام المعترف به , و اقتحام من اللامقبول لصميم الشعرية اليومية التي لا تتبدّل"(تودوروف , ١٩٩٣, ص٥٠) ، فعن طريق الحلم يدفع القارئ الى عالم اللامألوف و يتحطم النظام القائم في الواقع ، و في الرواية نجد حلمين احدهما

للبروفسور ,و الاخر للقسيس الكاثوليكي الشخصية الثانوية التي يلتقيها البروفسور في المصحة ،و يتحدث الاثنان فيطلب القسيس من البروفسور ان يقص رؤياه عليه فيخبره البروفسور بأنه يحلم بالهولوكوست ، فيتعجب القسيس و يسأله ان كان احد من المسلمين قد مات فيها ، فيخبره البروفسور بأن ذلك لم يحدث لكن الكثير منهم قد مات في محاكم التفتيش ،و يبدأ بقص حلمه و يقول :"يبدأ الحلم و أنا وحيد في الصحراء. بغتة, يبدو أمامي طفل صغير يحبو على الرمل .يحبو بسرعة كبيرة . يمر عليّ و عندما يراني يبتسم , و يقول :"هاي داد!" .ثم تظهر من خلفه سوزي . تحبو هي, ايضا, بسرعة هائلة . احبو وراءها و انادي... "سوبر! الى اين انت ذاهبة؟ "فترد عليّ "ذاهبة بابنك الى المحرقة".اقول لها : "اي محرقة يا سوبر؟" . تقول :"تعال و تفرج" . نحبو نحن الثلاثة بسرعة عظيمة . فجأة تمتلئ الصحراء بهياكل عظمية آلاف ملايين .و على كل هيكل عظمي نجمة داود ماسية فجأة , تشتعل النار في الهياكل العظمية يحترق الطفل و تحترق سوزي و اصحوا من النوم و انا اتصبب عرقا و ابكي. يهاجمني هذا الحلم كل ليلة كل ليلة يا ابي"(القصيبي ,١٩٩٩, ص١٠١) ، و للوصول الى رمزية الحلم و العجائبية فيه لا بد ان ننظر الى معطيات معينة و منها ان البروفسور و هو طالب جامعي متحمس للعرب و العروبة يلتقي بسوزي الطالبة الجميلة الغنية فيعجب بها فورا و ينطلق للتعرب عليها متحمسا "كالثور الهائج" بحسب تعبيره , و تمر الايام و تقوى علاقتهما اكثر فينتقلان للعيش معا بسعادة و استقرار , الى ان يكتشف بمحض الصدفة بعد احتفال عيد ميلادها بأنها ترتدي قلادة براقة فيسأل عنها فتخبره بأنها نجمة داوود و بأنها يهودية ، فيصدم من ذلك و يلومها على اخفاء ذلك فتخبره بأن الجميع يعلم بأن عائلة شيلنج يهودية و انها لم تخدعه و لم تكذب عليه فيستنكر ذلك قائلا: "كل الناس يعرفون انك يهودية إلا أنا ؟! الغبي الاوحد...ظهرت على عينها نظرة احتقار قاتل .أشعرتني اني لا شيء ...مجرد ثور هائج . بدأت القصة و أنا ثور هائج و انتهت و انا ثور هائج . مع الفارق الكبير بين البداية السعيدة و النهاية الشقية"(القصيبي , ١٩٩٩, ص٧٤) ، و بعد شجارهما تخرج سوزي غاضبة باكية تقصد منزل والديها ,فتقود سيارتها بسرعة و تدخل في حادث يفقدها حياتها ، فتأتي الشرطة لأخذ البروفسور من منزله بالقوة و العنف حتى يفقد وعيه , يفيق في اليوم التالي فيكتشف بأن سوزي ماتت في حادث سيارة و انها كانت حاملا في الشهر الثالث فيصدم لدرجة فقدان الوعي و الذاكرة مؤقتا ، و يحاول الانتحار بطرق عدة منها ضرب رأسه بالجدار و قطع شرايينه و الامتناع عن الطعام و الشراب فينقل الى مصحة مونتري , و يشعر بأن الجميع يلومه على موت سوزي ، و الحلم هو تجسيد للعجائبية و هو مليء بالرمزية فالبروفسور ينقل الهولوكوست الحدث التاريخي من معناه الذي يخص امة معينة و جماعة من الناس الى معنى شخصي يخصه هو فيشعر بأنه هو من يعيش هذا الحدث بفعل شعوره بالذنب الذي لا يستطيع ان يعبر عنه بشكل واع فيقوم اللاوعي بتحويله الى حلم دائم يلازم منامه، فيبدأ الحلم و هو وحيد في الصحراء و يمكن ان تعبر الصحراء عن شعوره بالوحدة و الخواء بعد فقد سوزي و من هنا تنطلق الاحداث العجيبة إذ يظهر من العدم طفل صغير يحبو في هذه الصحراء الخاوية! و من المعروف ان الحبو عملية بطيئة لكنه يصف حبه بالسرعة ! فيبتسم و الطفل و يحيه بـ"هاي داد" و من هنا يعرف بانه طفله من سوزي و التي تظهر ايضا من العدم و هي" تحبو بسرعة هائلة " فيحبو البروفسور خلفهما و يناديها و يسألها الى اين تذهب ؟ فتخبره بأنها ذاهبة بأبنه الى المحرقة و تطلب منه المجيء لكي يرى ذلك كل ذلك بعينيه فتنتقل المحرقة من سياقها التاريخي و الجغرافي من اوروبا الى الصحراء الفارغة و تصير مكانا عجائبيا و رمزيا يعيد فيه كتابة الواقع فهي تمثل مكانا للفناء و لكن ليس فناء اليهود في اوروبا كما هو الامر في الحدث التاريخي بل فناء الامكانية و الحياة السعيد التي يعرفها فعن طريق الذنب يكتب الواقع من جديد في الحلم , فيربط يهودية سوزي بدمار حياته الطبيعية كما يعرفها فبذلك يتحول شعوره بالذنب و الصدمة الى محرقة تلتهم كل شيء ، و تمتلئ الصحراء الخاوية بالهياكل العظمية و على كل منها نجمة داود ماسية كالتي ارتدتها سوزي قبيل وفاتها في الحادث و كأنه و بشكل لا واعي مثل للإمكانيات اللامتناهية و السعادة التي كان يمكن ان يعيشها مع سوزي بهياكل عظمية تملأ الصحراء ، فتشتعل هذه الهياكل فجأة بنار تخرج من العدم فيحترق الطفل و تحترق سوزي معه و بذلك تتبين العجائبية من خرق قوانين الواقع فحبو الطفل و سوزي و البروفسور بسرعة هائلة و النار التي تأتي من العدم و تلتهم الجميع و المحرقة التي انتقلت من اوربا الى الصحراء كلها امور لا يمكن ان تحدث في الواقع و لا يمكن ان تفسر بل تثير العجب و الحيرة و فتعيد بناء و ترتيب العالم لا كما هو في الواقع بل كما يصيغه شعور الذنب المكثف الذي يعيشه البروفسور و شعوره بخسارة كل شيء . و الحلم الثاني الذي يرد في الرواية هو حلم القسيس الذي يرويه للبروفسور فيقول : "تبدو لي ماري في الحلم و هي ترتدي ثيابا بيضاء يشع منها النور . و على رأسها هالة من الضياء . يحيط بها الملائكة . و يتصاعد الترتيل . تحمل بين يديها طفلا نورانيا جميلا . تقترب مني و انا على المنبر في الكنيسة و تقول لي : "هذا هو ابنك المقدس ايها الاب!" هنا تزداد حدة الترتيل .و ينبعث غناء ملائكي . و يقوم جمهور من المؤمنين و يقتربون من الطفل , و يقبلون يديه و رجليه , و يضمّخونه بالعطور. أحمل الطفل و اقول للمؤمنين : "أنظروا ! ها هو قد جاء! الفادي !" . و يرتفع الغناء الملائكي . فجأة , أسمع صرخة . ألتفت فأجد العذراء و قد طعنت نفسها بالصليب الذي كانت تلبسه . أهرع إليها فأجدها في

النزع الأخير . أباشر طقوس الوفاة, و هي تهمس : "اهتم بالإبن أيها الأب . أمّا أنا فقد متُ فداءك . مِتُ لأغسل ذنوبك" ثم تغمض عينيها . أبحث عن الطفل فلا أجده . ألتفت إلى المصلين و أسألهم : "أين ذهب إبني ؟ إبني الاوحد الذي كان معي منذ الأزل ؟ إبني الذي جاء ليفتديكم ؟" . لا يردّ عليّ أحد . أبدأ في البكاء :"إبني ! إبني ! إبني !" فجأة , يسقط شمعدان من سقف الكنيسة محدثاً ضجة هائلة . من حطام الشمعدان يخرج شيطان روما .يتجه نحوي و في يده صليب هائل . يقترب مني و يدخل طرف الصليب في قلبي . احسن بألم فظيع يا بني . اصحو و انا اصرخ"(القصيبي, ١٩٩٩, ١٠١-١٠٢), يشترك الحلمان بعدد من الامور و منها ان كليهما يحدثان في مصحة مونتري ، التي يدخلها القسيس كما البروفسور نتيجة صدمة عاطفية اثر انتحار الراهبة التي احبها و دخل في علاقة محرمة معها نتج عنها حمل الرهبة و انتحارها خوفا من الفضيحة ، و بعد انكشاف ذلك يطرد القسيس من الكنيسة التي كان يرعاها فيصاب بانهيار عصبي يدخل على اثره الى المصحة .و اذا كان انهيار البروفسور ناتج عن ذنب شخصي دنيوي و سياسي ، فذنب القسيس هو ذنب روحي اخروي ، و لذلك نجد تمثل ذلك في حلمه المحمل بالرموز الدينية ، فكأنه يريد التعويض عن الذنب الذي ارتكبه بإضفاء القداسة على خطيئته و اعادة تقديم الراهبة بصورة العذراء المثالية التي تشع نورا فيلبسها ملابسا بيضاء و يحيطها بالملائكة و التراتيل و الغناء الملائكي و يجعل من الطفل الناتج عن الخطيئة طفلا نورانيا فيعكس عليه صورة الطفل المعجزة و يماثل ما بينهما و بين السيدة العذراء و ابنها عيسى عليهما السلام ، فيرسم عن شريكته في الخطيئة و طفلهما الذي لم يولد صورة مثالية و يحيطهما بقداسة تتجاوز الحدود البشرية ، فيمثل في طفله الذي لم يولد وهم الخلاص و ينقل الراهبة المخطئة الى صورة العذراء و يتحول هو نفسه من قسيس مذنب الى صورة للأب المقدس فيلتف الناس حوله في الحلم بعكس الواقع الذي يهجره الناس فيه ، و بدلا من اعتبار الابن دليلا على الخطيئة يصير صورة للابن المقدس الذي جاء ليفدي العالم ، و تبلغ العجائبية ذروتها في الحلم عند طعن العذراء رمز القداسة و الطهارة نفسها بالصليب و هو رمز الفداء ، فتخبره و هي في الرمق الاخير انها قد قدمت نفسها فداء له و ماتت لغسل ذنوبه ، و يختفي الطفل ، و بذلك يعكس الصورة الدينية في معتقده فبدلا من ان يكون الابن هو الفادي للبشرية تضحي الام بحياتها فداء للاب و في ذلك نقد للمؤسسة الدينية التي تظهر نفسها بصورة القداسة و الطهارة و التضحية لأجل الناس بينما الحقيقة عكس ذلك ، و نجد في الاختفاء العجيب للطفل اشارة الى حالة اللا معنى التي يشعر بها القسيس و احساسه بعدم وجود الخلاص المنتظر و الذي مثله الاختفاء الصادم للطفل .و يسقط شمعدان الكنيسة و يتحطم و يظهر منه شيطان روما في اشارة واضحة الى السلطة الدينية و الفساد الذي سادها ، و يقوم هذا الشيطان بطعن القسيس في قلبه في اشارة ان رمز الخلاص قد تحول الى رمز للفناء و الموت و اختيار القلب بالذات هو لكون الايمان يأتي من القلب فالقسيس يرى بشكل لا واعي بأنه قد لوث قلبه بالخطيئة الدنيوية ، و بذلك يتحول الحلم الى نقد للمؤسسة الدينية فضلا عن الذات التي تظهر النقاء و تبطن الفساد.

خامسا : الرحلة و الاماكن العجيبة

لتكتمل اركان العجائبية في الرواية لا بد من الحديث عن الرحلة العجيبة و العشوائية التي يقوم بها البروفسور متنقلا بين اماكن مختلفة و متعددة فيعيش احداثا غريبة و يزور اماكن عجيبة و يلتقي بشخصيات مختلفة تزيد عجائبية الرواية و من المعروف ان الرحلة مكون مهم من مكونات العجائبية ، و لذلك يتحدث البروفسور عن رحلته و يجعل من البحث عن الثروة هدفا لها , بعد تركه للحياة الجامعية و رغبته ببداية حياة تجارية , و بأسلوبه الساخر يستخدم التناص مع رواية الطيب صالح موسم الهجرة الى الشمال يقول : " انتظرت حتى بدأ موسم الهجرة الى الشمال و امتطيت طائرة .بي .او . ايه .سي. طارت بي من واحة الفسيفساء و حطت في مطار هيثرو الدولي"(القصيبي ,١٩٩٩, ص١١٩) , و يجد هناك شخصية يصفها بالطيبة و الصلاح في مكتب الجوازات يبدأه الكلام بالسؤال عمن يكون فيعرف نفسه ب"البرو بن الفسور" و بعد حديث يدور بينهما يمنعه الرجل من الدخول الى الشمال ظنا منه بأنه "مصطفى سعيد" الشخصية الرئيسة في رواية موسم الهجرة الى الشمال و الذي يرى الرجل بأنه مفسد في الارض مغتصب لنساء الشمال و بأنه يروي اخباره لمؤلفين يؤلفون عنه الكتب و الروايات فيفضحهم في المحافل الدولية ، و بعد رفضه ذهاب البروفسور الى الشمال يقترح عليه اماكن اخرى و منها اقتراحه الذهاب الى مملكة السنبلة و بوابات العالم السبع الى أن ينتهي بمدن الملح و ينصحه بالذهاب الى هناك لكرم اهلها بالمال و الزاد , و من هذا الاقتراح تنطلق رحلة البروفسور العجيبة ، و يصف رحلته بقوله:"رجعت ادراجي على الطائرة, ومن الفسيفساء انطلقت في اخدود التيه على حصاني الأبجر متقلدا سيفي الصمصام حتى وصلت إلى إشارة كتب عليها :"إنتبه ! مدن الملح أمامك ! لا ترش الماء حتى لا تذوب المدن". وجدت سورا كبيرا مصنوعا من الملح و مزينا بالجواهر و الاحجار الكريمة يحيط بالمدن ,و لا توجد فيه سوى بوابة واحدة. أمام البوابة وجدت رجلا بدينا قصيرا اصلع يضع على عينيه نظارات طبية سميكة, و أمامه عدد من الاجهزة"(القصيبي, ١٩٩٩, ص١٢١) , و هو وصف يثير حيرة القارئ إذ ينتقل البروفسور من السفر بالطائرة الحديثة الى السفر

على الحصان ، متقلدا سيفا رغم انه ذاهب للتجارة كما قال و لا حاجة له بالسيف ، و يزداد التعجيب عند ذكر المكان و هو مدن الملح ، و التحذير من رش الماء حتى لا تذوب المدن ، و من هنا تتوقف حركية السرد اذ يقف البروفسور للحديث مع صاحب مدن الملح الذي يقترح عليه تغيير اسمه فيرفض ، ويسأله البروفسور عمن يكون فيعرف عن نفسه بقوله :"أنا سيادة الدكتور مالح مليح الملحوني, خريج جامعات أنقرة و برلين و باريس , و طبيب مدن الملح , و مأذون أنكحتها , و رئيس أمنها , و مالك أفخم فنادقها , و فيلسوفها , و مؤرخ أمجادها "(القصيبي ,١٩٩٩, ص١٢٢) , و عندما يسأله البروفسور من أي العرب هو يجيبه واصفا نفسه بأنه كان من اكابر عرب الثورة فصار من اكابر عرب الثروة و بأن بقية اهل مدن الملح قد ذهبوا لصيد الضب و الجراد و بأنه لم يذهب معهم لأنه بقي لحراسة مدن الملح من اي عدو غادر ، فيسأل البروفسور عن سبب مجيئه لمدن الملح فيخبره البروفسور انه قد جاء للتجارة و الكسب و بأن لديه مواهب اخرى كاستخراج الجن من المصروعين و ازالة التآليل و منادمة الاشراف و تعليم الصغار "مباددئ التفحيط" و اصلاح "دشوش الساتلايت" , فيرد عليه الملحوني :"أما عن الجن فقد استخرج اخصائيونا من مرضانا نصف مليون جني, معظمهم لا يحمل الإقامة .و أما عن التآليل فقد انقرضت منذ بنينا المرصد و كففنا عن عدّ النجوم . أما عن منادمة الأشراف فلا, و الله!, ما نادمت شريفا هنا ما دمت حيّا , و لكني اسمح لك بمنادمة الاراذل. و أما عن ورعاننا فهم يخرجون من بطون أمهاتهم و في يد الواحد منهم مفتاح سيّارة و دكتوراه في التفحيط . أما عن تصليح الدشوش فهذه مهمة يتولاها عندنا الشراقصة"(القصيبي, ١٩٩٩, ص١٢٥) , و في النص يعود الكاتب الى استخدام السخرية السوداء و المفارقة الغريبة التي تثير التعجب و الحيرة عند حديثه عن ملايين الجن الذين لا يحملون الاقامة فليس من المعروف عن الجن طلب الاقامة !، و من ثم حديثه عن انقراض التآليل منذ بناء المرصد و الكف عن عد النجوم فيربط زوال الامراض الذي يجب ان يفسر بالعلم بالخرافات و المعتقدات الشعبية ،و تستمر السخرية اللاذعة عن طريق الانزياح فيمنع منادمة الاشراف و يقترح منادمة الاراذل ، و يستخدم المبالغة بحديثه عن ان اطفالهم يولدون و في يدهم مفتاح سيارة و شهادة دكتوراه في التفحيط ، و في النص نقد اجتماعي واضح للسلطة و المظاهر التي تستخدم الغنى و الشهادات و العلم لاستعراض الحداثة و التطور الذي وصلوا اليه ، و الكاتب يمزج اللغة العامية بالفصحى لكسر الرتابة و الرسمية في الخطاب . و تستمر الرحلة باقتراح صاحب مدن الملح للبروفسور بالذهاب الى "خيمة كونسلتنت اند كونسلتنت" لصاحبها "الدكتور مشير مستشار الاستشاري" الحاصل على الدكتوراه في النحو من جامعات مالطة و يعطي الاستشارات في كل شيء ، يطلب البروفسور استشارته في امور "البزنس" فيقترح عليه وكالة الاسلحة الذرية و ان يذهب الى واشنطن، و من هنا تبدأ رحلة عبثية للبحث عن القنبلة الذرية في عواصم العالم و فيها يتعامل البروفسور مع انماط مختلفة من القوى العالمية ، و البروفسور يمثل نموذجا للمثقف العربي المأزوم الذي لا يفيد من ثقافته شيئا فتصير عبئا عليه و دافعا لشعوره بالعجز و العبثية مما يجعله يبحث عن القوة و السلام في ادوات الدمار و الخراب ، اذ ان بحثه عن القنبلة الذرية لا يعني البحث عن السلاح بل يشير الى الرغبة في الخروج من حالة الضعف الى القوة بسرعة ,و تعويض لشعور النقص الحضاري و الانتاجي و العلمي في "امة العربستان" ،فيذهب الى واشنطن و يطلب مقابلة وزير الدفاع فلا يراه في مكتبه فيخبره مساعده بأن الوزير موجود و إن لم يره فهو من طور طائرة الشبح و كثيرا ما يستعين بهذه التقنية عند مقابلته للأعراب ، و عندما يحاول الجلوس يشعر بشيء يدفعه و يصرخ عليه : "سن أوف آ بج! جلست عليّ أيها البدويّ الأعمى !" قلت :"و كيف أراك و أنت مستشبح؟!". ضحك الوزير , و ضغط على زر خفيّ , و بدأ يظهر للعيان تدريجياً حتى اكتمل"(القصيبي, ١٩٩٩, ص١٢٧) , و يسأله الوزير ان كان يريد ولاية من ولاياتهم فيجيبه بأنه لا يريد سوى القنابل الذرية ليسرح بها في بلاد الضاد ليفيد و يستفيد , فيضحك الوزير حتى يختفي و يظهر مرة اخرى , و من ثم يخبره بأنهم قد دمروا اسلحتهم الذرية و ينصحه بالذهاب الى الروس ، و الحوار بينهما قائم على سخرية سياسية تفضح نفاق القوى العظمى فالاختفاء و الظهور و الوجود الشبحي للوزير الذي يدل على سلطة موجودة غير معلنة تظهر و تختفي و تنفذ ما تريد دون ان يعلم احد عنها ، تستهزئ بالضعفاء و توجههم حيث تشاء دون ان تحاسب نظرا لكونها غير ظاهرة للعلن .و يفضح النص اسلوب الاستعلاء التي تمارسه تلك القوى اذ يصف الوزير البروفسور بالبدوي الاعمى و يلعنه لأنه لم يره رغم انه كان في وضع الاخفاء , و المثير للاهتمام في النص هي رغبة البروفسور في القنبلة الذرية لا لكي يحارب الاعداء او ان يحقق نصرا لامته ، بل يرغب بها ليسرح بها في عواصم الضاد فيفيد و يستفيد و كأنه يسخر من العجز العربي الذي لا يملك من امره شيئا حتى و ان امتلك القنبلة الذرية . ينتقل بعد ذلك الى بلاد الروس الذين اطلق عليهم "السوس" "فيمتطي" البروفسور طائرة تحط به في مطار موسكو التي يسميها "روسكو" و هناك يبادر اول عسكري يراه بالهتاف بزنس خذني الى وزير الدفاع فيأخذه الى هناك , و هناك يخبروه بأن يشرب الفودكا اثناء انتظاره للوزير , و ما ان يرى الوزير يهزج و يلقي ابياتا شعرية في مدحه ، تتهلل اسارير الوزير بسماع ذلك و يقول : "أيها الرفاق سابقا ! أملأوا كرش هذا الشاعر الصحراوي فودكاء" إنقضّ عليّ الرفاق سابقا, و في يد كل منهم برميل هائل يخرج منه خرطوم أشد هولا .قلت :"سيدي الوزير ! الرحمة ! لا أستطيع أن أتفاوض مع حضرة جنابكم و

أنا مفوطك". قال "و لكني هدمت البرلمان و أنا مفوطك". قلت :"و من لي بكرش هضوم للفوطكاء ككرشكم؟"... قلت :"سيدي الوزير! أريد أن اشتري بعض الاسلحة الذرية السوسية". قال :"أبركها ساعة ! ٥ بلايين دولار مقابل ٥ قنابل ذرية"(القصيبي ,١٩٩٩, ص١٢٨) , و في النص نقد سياسي يتمثل بالسخرية من منطق التفاوض السياسي اذ يكسر هذا الخطاب عن طريق تقديم الفودكا كضيافة قبل اللقاء بالوزير ، و تظهر العجائبية في تقديم الوزير و رفاقه للفودكا ببراميل هائلة مع خراطيم اكثر هولا ! و ليس بكأس زجاجية ، و عندما يخبرهم البروفسور انه لا يستطيع التفاوض و هو "مفوطك" فيخبره الوزير بأنه هدم البرلمان و هو مفوطك ، و كأنه يجعل القدرة على تحمل الفودكا رمزا لقوة الوزير مقابل ضعفه و افلاسه ، و بعد ذلك يقوم البروفسور باخبار الوزير بانه "على الحديدة" فيضرب و يبعث به بعيدا فيرى البروفسور بأن هذا هو جزاء من يتعامل مع الدول الكبرى سابقا او لاحقا و بأنه سيحاول التعامل مع "الدول الميديم و الزغننة". يتنقل بعدها في العواصم الاخرى تنقلا خاطفا و منها دولا بأسماء عجيبة و منها دولة "الماكوستان" و عاصمتها "زنداباد" التي يسأل وزيرها بأن يعطيه القنبلة الذرية الاسلامية ليبيع نصفها و يلقي بالنصف الآخر على " الكندو ستان " فيضيع دمهم بين بني خضير ، فيجد الوزير الفكرة مثيرة للاهتمام فيقترب منه مخبر سري و يقول له :"هذا هو الصياد الذي يرمي الوغدان بالشوزان في براري الماكوستان"...قال لمن حوله من عضاريط رعاديد:"خذوه فاصفعوه صفعا ...ثم اشلعوا ضلوعه شلعا. ثم اقلعوا اسنانه قلعا". اطلقت , يا حكيم , ساقيّ للريح , و كانت الريح عاصفة , اخذت اوجهها جنوبا و شمالا حتى حططت على سور الصين العظيم"(القصيبي, ١٩٩٩, ص١٢٩) و النص يمزج الفصحى بالعامية و العربية بالانجليزية و يدخل الفاظا مثل "اكسلانسي" و "الشوزان" بالانجليزية و عضاريط بالعامية لكسر قوة الخطاب السلطوي الدبلوماسي و السياسي ، و يعود فيلغي الزمان و التباعد المكاني و يقفز من مكان لآخر دون ان يستغرق ووقتا في ذلك فكأنه انتقال آني فمن الماكوستان الى الصين مباشرة و يكرر طلبه للحصول على القنبلة الذرية فيقابل برفض و كلام عن السلم و خطورة الحروب و بأن الاشعاع الذري :" يلوث الجو. و يهدد غطاء الأوزون . و يغضن وجوه الصغار و الكبار .و قذف الآخرين بالقنابل الذرية يؤذي مشاعرهم و يجرح عواطفهم . و قد يؤدي الى اصابتهم بصدمة عصبية , و حروق من الدرجة الثالثة. و نحن في الصين قوم مسالمون مع استثناءات طفيفة لا تكاد تذكر هي حرب كوريا و حرب فيتنام و الثورة الثقافية و إخلاء الميادين العامة من اختناقات السير. فما رأيك أن نعطيك وكالة الشاي الاخضر"(القصيبي, ١٩٩٩, ص١٣٠) , و لما كانت العجائبية تجعل من اللامعقول معقولا ، تتمثل العجائبية في النص بالاسلوب الساخر الذي يجعل الخوف من القنبلة الذرية ليس في انها ستقتل الملايين بل لأنها بمنطقهم ستلوث الجو و تغضن الوجوه و تجرح المشاعر ، و تسبب حروقا من الدرجة الثالثة ! ، و يعود المتحدث فيصف قومه بأنهم مسالمون ، مع تعداد الاستثناءات مما يعمق السخرية السوداء و يجعلها اكثر حدة اذ كل استثناء منها يمثل حربا طاحنة ، و يزداد المنطق اللاعقلاني بعرضهم وكالة الشاي الاخضر بدلا من القنبلة الذرية!.و من الصين يقفز الى اسرائيل عن طريق خطف طائرة و تهديد الكابتن يقول :"أشهرت زنوبتي في وجه الكابتن الروماني و قلت :"إيراب ! تيرورست! فندامانتالست! هايجاكنج! خذني الى مطار تل أبيب و إلا فجرت الطائرة و من فيها بهذه الزنوبة!"(القصيبي, ١٩٩٩, ص١٣٠-١٣١) , و باللغة نفسها يتحدث الى موشيه رئيس الموساد فيخبره ما اخبر به من سبقه من القادة من رغبته بشراء قنبلة ذرية فيخبره موشيه انه لا مانع لديه في ذلك من حيث المبدأ فيتعجب البروفسور من ذلك و يسأله: "ألا تخاف أن يقذفها المشتري عليكم ؟.ضحك الجنرال و قال :"اسمع يا بعير ! العرب يكرهوننا و لكنهم يكرهون بعضهم البعض أكثر مما يكرهوننا"(القصيبي, ١٩٩٩, ص١٣١)، و يتحدث موشيه عن موضوع السلام و هو سلام ملغوم مبني على خضوع الجميع لهم ، و لما يرفض البروفسور مسألة السلام يخبرونه بأنه اذا اراد الحصول على القنبلة فعليه ان يعطيهم ٥٠ كلجم من لحمه و شحمه و في ذلك تناص ساخر مع تاجر البندقية ، فيستغرب و يسألهم ماذا سيفعلون بلحمه و شحمه فيحصل على اجابة اعجب و هي انهم سيدرسونه دراسة علمية دقيقة في "مركز الجامعة العبرية لتحليل البعارين و البدوان" ، للحصول على نتائج هامة تحدد مسار عملية السلام, و يهدده موشيه بأنه اما ان يوافق او يسجن لمدة ٩١ سنة في سجن من سجونهم الارضية بتهمة ": الغزل في شارب هتلر", اي اما ان يقبل السلام معهم و اما ان يتهم بالنازية و معاداة السامية ، يشعر البروفسور بالكآبة الشديدة و اليأس و العجز و بينما هو كذلك يسمع صوتا في اذنه يخبره بأن ينادي يا تهامي فيصرخ بأعلى صوته مناديا يا تهامي و قبل ان ينتهي من الصراخ يتطاير سقف المكتب و يهبط منه رجل يصفه بأنه :" رجل وقور يرتدي بدلة عسكرية , و عباءة بيضاء , و عمامة خضراء , تحيط به سحابات من البخور .التفت إليّ و قال : "أنا الفريق ركن تهامي متهوم التهامي , من أولياء الله الصالحين , أهل الخطوة"(القصيبي ,١٩٩٩, ص١٣٣)، و ما ان يرى الجنرال موشيه هذا الولي الصالح حتى يصاب بالذعر الشديد و يرتجف خوفا و يتوسل الصفح و السماح من تهامي لأنه لم يكن يعرف ان البروفسور "محسوب" عليهم ، فيبصق الولي الصالح عليه ، و يخبر البروفسور ان يتعلق بعباءته ، فيفعل و ينطلق الاثنان يجوبان الفضاء فيخبره الولي ان لهم رتبا و ان رتبته وتد لكنه يرتدي الملابس العسكرية و يعمل في القوات المسلحة لإخفاء العلاقة مع المحبوب خوفا من الوهابية لانهم

لا يحبون الصوفية ، و يسأل البروفسور ان كان منهم فينظر البروفسور الى الارض التي بينه و بينها آلاف الامتار و يمتنع عن الجواب ، و بعد ذلك يهبط العبد الصالح به الى الارض عند خيمة "كونسلتنت اند كونسلتنت اند كونسلتنت " فيلتفت لشكره فلا يجد الا سحائب البخور التي تعبق في البرية ، و النص يفضح نضرة متشائمة سوداء لدرجة كبيرة ، إذ يرى الكاتب انعدام وجود فرصة لانتصار العرب بواسطة جيش موحد يدافع عنهم جميعا بوصفهم امة واحدة ترد كيد الاعداء ، فيعتمد العرب على المعجزات و الاولياء الصالحين ، و في ذلك نقد واضح لامة تعتمد الدعاء و الكرامات بدل العمل الجاد و الواقعي لتحقيق اهدافها و انقاذ نفسها.و يؤكد روجي كايوا "على ضرورة حضور الفوق طبيعي لتثمين الحبكة و اعطائها بعدا فانتاستيكيا. ذلك ان غياب عنصر الفوق طبيعي يعني غياب الشيء المولد للحيرة و الاندهاش"(حليفي, ٢٠٠٩, ص٣٧) , و من دمج الخيال و اللامعقول مع الواقعي ، ينطلق البروفسور في رحلة عجيبة الى عبقر وادي الجن عن طريق منطاد من مناطيد خاقان الجن فيحط في هيثرو عبقر و يستقل سيارة رينج روفر للوصول الى الحي السكني للشياطين الشعراء ، فيرى شوارع نظيفة و ميادين خضراء و على جانبي الشارع تقع بيوت الشياطين و امام كل منزل منها حديقة واسعة فيذكره ذلك ببيوت كبار الموظفين في ارامكو ، و عند تنقله في الحي يلتقي بشياطين الشعراء و منهم شيطان ادونيس ، و شيطان نزار قباني "فاخذ رديفان النهيدان" و يصفه بأنه شيطان يرتدي عباءة من جلود النساء و يركض صارخا:"هل تسمعون صهيل احزاني؟". فتتعالى الصرخات من كل مكان :"نعم! نعم ! وطّي الصوت!"(القصيبي, ١٩٩٩, ص٢٥٠) ,و ينتقل لبيت اخر فيرى شيطانا يرتدي توجا رومانية و يضع على رأسه اكليلا من الغار فيعرفه شعلة عليه و يخبره بأن "فينيس لاتينوس الافنيقوس" صاحب سعيد عقل , و يستمر بالتنقل و لقاء شياطين شعراء اخرين الى ان يكتفي و يقول : "الآن! الآن! و ليس غدا ..اجراس العودة فلتقرع". قال شعلة :"أي اجراس , الله يهديك؟! احنا بمدرسة؟! تعال و ألق نظرة على موقف الشياطين الطاكسي قبل انصرافنا"(القصيبي, ١٩٩٩, ص٢٥٣) فيسأل عنهم و يخبره شعلة بأنهم شياطين شعر غير متفرغين يستأجرون مؤقتا من قبل شعراء الانس ، فيصفهم بأنهم مصبوغين بالأسود في طوابير على طريقة سيارات الاجرة في لندن و على رأس كل منهم تسعيرة تختلف من قصيدة لأخرى .

سادسا : النهاية الصادمة اختفاء البروفسور و جنون الطبيب

و بعد تعرض حياته للخطر و انقاذه من قبل زوجتيه فراشة الفضائية و دفاية الجنية عن طريق احضانه و اختراق الجدار و اخذه الى كوكب الفضاء فيستيقظ ليجدهما حوله ، و ليستعيد عافيته خلال اسبوع بفضل طب الفضاء و عقاقير الجن ، تطلب منه الزوجتان ان يبقى معهما فيرفض لأنه يرى ان مهمته لم تنته بعد فتعترض دفاية على كلامه و تخبره بأنه قد فشل فصلاح الدين صار من اصدقاء اسرائيل و برهان سرور قد صار من حلفائهم ايضا ، و تستدرك الفراشة بالقول ان ضياء المهتدي ايضا مشغول بحرب ستتسبب بالدمار له و لشعبه و بلده ، فيعترض البروفسور على كلامهما بأن عربستان ٦٠ ما زالت موجودة و بأنها الضوء في اخر النفق و الامل الاخير و بذرة الديمقراطية , فتخبرانه بوجود مخطط لانقلاب عسكري قادم في عربستان ٦٠ و سيحدث في اي لحظة ، فيرفض التصديق إلا انه يعدهما انه سيعترف بفشله و سيرحل معهما اذا حدث الانقلاب ,و سيقضي ٦ اشهر مع فراشة في الفضاء, و ٦ مع دفاية في عالم الجن ، و تقنعه الاثنتين انه لم يبق له شيء في الارض بعد فشل مشاريعه السياسية و التجارية و لم يبق له إلا المشاريع الادبية و في الفضاء ما ان تأتي الفكرة في رأسه حتى يستطيع الجميع قراءتها و هذا هو التأليف المريح ,و تضيف دفاية ان جميع اصدقائه سيكونون من العباقرة في عبقر ، فيقتنع و يخبر الطبيب سمير ثابت بأن كلامهما منطقي اذ لم يتبق له شيء على الارض و اذا حدث الانقلاب سيكون قد فشل بتحقيق هدف حياته, فيخبره الطبيب ان مسألة الانقلاب قد لا تكون صحيحة لكن البروفسور يؤكد انه قد سمعها بنفسه عن طريق جهاز الارسال الموجود في مخه ، و ان هذه المؤامرة من تدبير "المجرم بن المجرم بن المجرم موشيه بن نمرود بن عادياء " بتكلفة زهيدة و هي خمسة مليون دولار فيتحسر لأنه دفع نصف مليار دولار لبناء الديمقراطية بينما دفع موشيه خمسة مليون لتدميرها .فيسأله الطبيب عما حصل بعد ذلك , فيخبره بأن دفاية و الفراشة قد اتفقتا على جعل العصفورية نقطة للانطلاق ,لأن لكل منهما ذكريات جميلة فيها , ففيها افسدت دفاية علاقته بفرحة ربيع و فيها مارست الفراشة الحب معه للمرة الاولى , و لذلك تم اختيار العصفورية و الطبيب ثابت بعناية لتسجيل قصة حياة البروفسور , لروايتها لولديه في المستقبل فدفاية الجنية و الفراشة الفضائية تحملان طفليه ،فيتعجب الطبيب من كلامه و يسأله غير مصدق لكلامه ألم تأتي للعلاج ! فيخبره البروفسور بأنه قد اخبره منذ البداية انه ليس مريضا بل ضيف جاء اختاره لتسجيل قصة حياته بما فيها من عجائب و غرائب ، و يجب ان يحفظ سيرة حياته و ان يخزنها على الكومبيوتر ، و يخبر الطبيب بأنه باق ما دامت الحكومة الحالية في عربستان ٦٠ قائمة ، فإذا انهارت سيرحل دون عودة , و هنا ينسحب الطبيب اذ بدأ يشعر بالتعب لكونهما تحدثا لمدة عشرين ساعة , فيوافق البروفسور لأنه ايضا بحاجة للراحة , فيجمع الطبيب اغراضه و يرحل على وعد باللقاء بعد ٢٠ ساعة من الراحة ، و تنتهي الرواية بفصل ختامي صغير بعنوان "مخرج" و الذي يعمق عجائبية الرواية و يعيد الحيرة و التردد الى القارئ و يجعله يعيد

طرح الاسئلة مرة اخرى حول التفسير المناسب لكل ما قرأه في الرواية ، يعود الطبيب الى جناح البروفسور في العصفورية فيفتح بابه و يدخل فيخرج مذعورا بعد عدة دقائق , و ينادي الممرض الضخم شفيق فيسأله عن البروفسور لأنه لم يجده في غرفته ، و يتذكر كلام البروفسور فيسأل الممرض إن كان هناك خبر عن انقلاب في الاخبار فيجيبه بأن انقلابا قد حدث في عربستان ٦٠ و بأنهم قد ازالوا رئيس الجمهورية و استبدلوه بضابط ، و هنا يدرك الطبيب ان البروفسور قد رحل مع زوجتيه و يبدأ بتقبل ما اخبره البروفسور به و من ثم يخبر الممرض بأن البروفسور قد رحل مع زوجتيه دفاية و فراشة ، فيسأله الممرض بتعجب عما يقصده بزواج البروفسور بالجنية دفاية و الفراشة , و يزيد تعجبا من كلام الطبيب الذي يخبره بأن البروفسور قد رحل معهما الى كوكب الفضاء ، فيفسر الممرض كلام الطبيب بأنه يهلوس ، فيخبره الطبيب بأنه لا يهلوس و ان البروفسور قد رحل مع الفراشة و دفاية ، فيبتعد عنه الممرض و يصرخ مخبرا الجميع بأن الطبيب قد جن ، بينما يجلس الطبيب على الارض ضاحكا و سرعان ما تحول ضحه الى بكاء و هو يردد "–ضيعانك , يا بروفسور", و هكذا تتحول العصفورية الى نقطة الانطلاق و المركز الذي تتبع منه الاحداث في الرواية كما انها المكان الذي تنتهي فيه , فينتصر فيها اللامنطقي على المنطقي و الجنون على العقل ، فيخرج المجنون من الفضاء المغلق الى العوالم الفسيحة حين يشاء و يسجن الطبيب العاقل مكانه ، مما يترك الباب مفتوحا امام القارئ للتأويل و التفسير بشكل لا نهائي و هذا التردد و التفسيرات المتعددة هي جوهر العجائبية.

الخاتمة و النتائج :

يمكن عد رواية العصفورية نصا عجائبيا بامتياز, و هو نص مفتوح الدلالات قابل التفسير بطرق مختلفة و تفسيرات متباينة ، و قد جاءت العجائبية فيه على شكل استدعاء شخصيات من الماضي و التفاعل معها و تعجيب الاماكن الطبيعية فضلا عن وجود المخلوقات العجيبة كالجن و الارواح و الكائنات الفضائية و غيرها.

قد لا تكون الاماكن او الشخصيات عجيبة في حد ذاتها و لكنها تنتقل ال العجائبية اذا اخرجت من حالتها او بيئتها الطبيعية الى حالة او بيئة اخرى كأن تخرج الشخصية من زمنها و مكانها الى زمان و مكان اخرين ، او ان تعطى للمكان الحقيقي صفات ليست فيه ، او ان تتفاعل شخصية حقيقية ميتة مع اخرى حية و هذا ما حدث في الرواية .

ما يعمق العجائبية في الرواية هو الاطار الواقعي الذي قُدمت فيه في البداية و من ثم انقلابها الى اللاواقع عن طريق التفاعل مع اللامنطقي و حتى اللامرئي كعالم الجن و الارواح ،و المعروف ان هذه الكائنات لا ترى من قبل الانسان لكن البروفسور يتفاعل معها و يتآلف معها و في ذلك نوع من الهروب من الواقع المؤلم الذي سببه له البشر.

جاءت اللغة في الرواية مغلفة بسخرية سوداء لاذعة استخدمها الكاتب في النقد السياسي و الاجتماعي و حتى الديني ، و نقد الشرق و الغرب و العرب و غيرهم .و تميزت اللغة بالعشوائية بالدمج بين العامي و الفصيح و العربي و الانجليزي و الاستشهاد بالشعر العربي القديم و القصص و الروايات و التاريخ و التنقل من موضوع الى اخر دون هدف واضح ، بشكل اشبه بالفوضى التى لا تعرف لها بداية و لا نهاية.

النظرة التشاؤمية اليائسة من حصول تغيير و انقاذ حقيقي لذلك يتم انقاذ البروفسور من قبل الجن و الفضائيين و الاولياء الصالحين في نقد اجتماعي عنيف يراد به القول ان الامة العربية لا تتمسك بالاسباب الحقيقية للنهضة بل تتمسك بالبدع و الخرافات دون عمل .

اعتمد الرواية نمط السرد اللاحق عن طريق رواية الاحداث بعد زمن من حدوثها الى الطبيب في جلسة علاجية ، دون تسلسل زمني واضح فاعتمدت كسر الزمن و تشظيه و كانت الرواية اشبه بحكاية كبيرة تتداخل فيها حكايات اصغر تؤدي كل واحدة منها الى الاخرى .

القرآن الكريم

- العصفورية , غازي عبد الرحمن القصيبي ,دار الساقي , بيروت لبنان ,ط١, ١٩٩٩

المصادر و المراجع :

- استجوابات غازي القصيبي , غازي عبد الرحمن القصيبي , مكتبة العبيكان , الرياض , ط٢, ٢٠١٠
- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر, د.علي عشري زيد, دار الفكر العربي , القاهرة , ١٩٩٧ .
- بنية الشكل الروائي (الفضاء –الزمن –الشخصية), حسن بحراوي , المركز الثقافي العربي , بيروت , ط١, ١٩٩٠
- الحكايات العجائبية في السرد العربي القديم , نبيل حمدي الشاهد , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة , ٢٠١٨
- الحيوان , ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ , تحقيق عبد السلام هارون ,ط٢,ج١, ١٩٦٥
- الخيال العلمي في الادب , محمد عزّام ,ربع الدار هيئة مدارس ابناء و بنات الشهداء في الجمهورية العربية السورية , دمشق, ط١, ١٩٩٤

- الرواية الخليجية قراءة في الانساق الثقافية , د.فارس توفيق البيل , شركة دار الاكاديميون للنشر و التوزيع , الاردن , ط١, ٢٠١٦
- الرواية العربية ما بعد الحداثية تقويض المركز –الجسد –تحطيم السرديات الكبرى ,د. ماجدة هاتو هاشم , دار الشؤون الثقافية , بغداد , ط١, ٢٠١٣
- السرد الغرائبي في الرواية و القصة القصيرة في الاردن من عام ١٩٧٠الى ٢٠٠٢, د.سناء كامل شعلان , نادري الجسرة الثقافي و الاجتماعي , الاردن , د.ط, د.ت
- شعرية الرواية الفانتاستيكية , شعيب حليفي , الدار العربية للعلوم ناشرون , بيروت , ط١ , ٢٠٠٩
- قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , ط١, ١٩٩٧
- لسان العرب, ابن منظور الافريقي المصري , مج١ ,دار صادر , د.ط ,د.ت
- مدخل الى الادب العجائبي , تزفتيان تودوروف , ترجمة الصديق بو علام , دار الكلام , الرباط , ط١, ١٩٩٣

المجلات :

- احلام بقرة :العجائبية , التأويل ,التناص , واسيني الاعرج , مجلة افاق , العدد١ ,١٩٩٠
- الشخصية العجائبية في القصة الموجهة للاطفال قصة التاج السحري و مغارة الافاعي لزواوية بن عطوش –انموذجا , الواسع محمد اليمين و أ.د ضيف الله السعيد , مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية ,الجزائر , المجلد ٩, العدد ١, ٢٠٢٤

The holy quran .-

Al-usfuriya, ghazi al-qousaibi, dar al-saqi, beirut,1st ed, 1999.-

References:

-Evocation of heritage figures in contemporary Arabic poetry ,dr.ali ashri zayd, dar al-fikr al-arabi, cairo, 1997.

-Fantastic tales in classical Arabic narrative, nabil hamdi al shahid, general egyptian book organization, cairo , 2018.

-The grotesque narrative in the novel and short story in Jordan(1970-2002), dr.sanaa kamil shaalan, al jasrah cultural and social club, Jordan, n.ed, n.d.

-The gulf novel: a reading in cultural systems, dr.faris tawfiq al-beel , al- akadimyiyun house of publishing and distribution , Jordan,1st ed, 2016.

-Al-hayawan abu uthman amr ibn bahr al-jahiz, ed. Abd al-salam harun, 2nd ed, vol.1, 1965.

-Interrogations of ghazi al qusaybi, ghazi al-qusaybi, al ubaykan library, Riyadh ,2nd ed, 2010.

-Introduction to fantastic literature , tzvetan todorov, trans.al-siddiq bu allam, dar al-kalam, rabat ,1st ed, 1993.

Lisan al-arab ,ibn manzur al-afriqi al-misri , vol.1 ,dar sadir, n.ed, n.d.-

-Narrator said: narrative structures in popular biography , arab cultural center , Casablanca , 1st ed, 1997.

-Poetics of the fantastic novel ,shuayb halifi , arab scientific house nashirun, Beirut, 1st ed, 2009.

-Postmodern Arabic novel : deconstructing the center-body- shattering grand narratives , dr. majidah hatu hashim , dar al shun al-thaqafiya , Baghdad , 1st ed, 2013.

-Science fiction in literature, mohammed azzam ,raba al-dar, martyrs sons and daughters schools authority, Syria ,Damascus ,1st ed, 1994.

-Structure of the novelistic form (space-time-character),hasan bahrawi , arab cultural center,Beirut ,1st ed, 1990.

Journals :

-Dreams of a cow: the fantastic, interpretation , and intertextuality , waciny al-araj , afaaq journal, issue 1, 1990.

-The fantastic character in children's oriented stories: the magical crown and the cave of snakes as a model, mohammed al-yamine al-ouassia and prof.dr. daifullah al-saeed, tebooks of Algerian poetics laboratory journal, Algeria, vol.9 , no.1, 2024.